

قراءة في عوامل انتشار المذهب المالكي

د. سليمان قوراري

جامعة أحمد دراية . أدرار

يعالج هذا المقال أسباب انتشار المذهب المالكي وهي تتمثل فيما يلي: الشخصية الفذة التي تميّز بها الإمام مالك. ثانيا: كثرة تلاميذه. ثالثا: دور موسم الحج، وزيارة المدينة النبوية، لتلقي العلم والأحكام. رابعا: العامل السياسي والمتمثل، في اعتناق الحكام والأمراء للمذهب. خامسا: اعتماد المذهب المالكي في تولية خطّة القضاء والفتوى. سادسا : مرونة وسلاسة المذهب المالكي. سابعا: الخصائص والميزات الكامنة في المذهب المالكي والتي ساعدت على انتشاره الكبير. ثامنا: انفتاح المذهب المالكي على مختلف المذاهب، والشرائع السماوية. تاسعا: دور الحكام في تدعيم وتوطيد أركان المذهب المالكي. عاشرا: بساطة المذهب وابتعاده عن المجادلات الكلامية والخلافات العقائدية التي كانت سببا في ازدياد الهوة والفرقة بين المسلمين . أحد عشر : دور العمل الفاسي. إثنا عشر : احتفاء المذهب المالكي بالأبعاد المقاصدية للشريعة الإسلامية ، وتركيزه كل ما من شأنه تعزيز حقوق الإنسان الأساسية من حماية لدمه وماله وعرضه ...



Lecture les facteurs propagation de la doctrine malékite

Cet article examine les raisons de la propagation de l'école Maliki sont les suivantes: 1) Personnalité inimitable qui caractérise l'Imam Malik . 2) le grand nombre de disciples.3) Le rôle de la saison du pèlerinage.4) Le rôle politique.5) Attribution de la

magistrature et l'avis de la malékites.6) La flexibilité de l'école Maliki.7) Caractéristiques école malékite.8) L'ouverture de l'école Maliki.9) le rôle des Rois.10) La simplicité de l'école Maliki.11 Le rôle de travail Fassi.12) considération d'objectifs supérieurs de l'islam.

مقدمة :

يعد المذهب المالكي من المذاهب الفقهية الكبيرة المعتمدة في العالم الإسلامي، منذ أن أرسى قواعده وأصوله ، الإمام مالك بن أنس (93 هـ . 179 هـ / 712 م . 795 م) ، إمام دار الهجرة ، والذي يقوم على اثني عشر أصلاً ، هي : القرآن ، والسنة ، والإجماع ، وعمل أهل المدينة ، والقياس وقول الصحابي ، والمصلحة المرسل ، والعرف والعادات ، وسد الذرائع ، والاستصحاب ، والاستحسان " .

ومنذ ذلك الحين وهو في تقدم ورقي وانتشار واسع بتوفيق منه سبحانه وتعالى ، وممازرة عوامل متعددة ساهمت إلى حد كبير في التمكين له في أرض الله ، ولا يزال إلى اليوم منتشراً في بلاد واسعة في الشرق والغرب ، ولا تزال كتبه المعتمدة والتي عليها المدار في القضاء والفتوى تدرس في معاهد العلم ، وهناك جهود علمية معتبرة من عديد الهيئات العلمية لأجل خدمة المذهب المالكي ، وتيسيره وتبسيط مصطلحاته لعموم المسلمين ، ومنذ ذلك الحين وهو في انتشار واتساع وامتداد . بفضل عوامل عدة . فما هي أبرز تلك العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي ؟

عوامل انتشار المذهب المالكي :

يعد المذهب المالكي ، من بين أبرز المذاهب الفقهية الكبرى في الإسلام ، الواسعة الانتشار في الشمال والغرب الإفريقي ، وفي أجزاء من مصر والسودان وبعض مناطق الخليج وأتباعه يشكلون حوالي ربع عدد المسلمين¹ ... ومؤسسه ، أشهر من

نار على علم ، سعدت به الدنيا ردحا من الزمان ، وانتفع به الناس في حياته وبعد مماته ولا يزالون كذلك إلى يوم الناس هذا ².

جاء في الطبقات الكبرى للشعراي = لوافح الأنوار في طبقات الأخيار " ...وكان إذا أراد أن يجلس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل وتبخر وتطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم، وكان إذا دخل بيته يكون شغله المصحف وتلاوة القرآن، وكان السلاطين تهابه... وأخذ رضي الله عنه العلم عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين وكان يقول ليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يضعه الله تعالى في القلب، وقيل له ما تقول في طلب العلم؟ فقال حسن جميل ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه. ولما ضربه جعفر بن سليمان في طلاق المكره وحمله على بعير قال: له ناد على نفسك فقال رضي الله عنه ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس، أقول طلاق المكره ليس بشيء فبلغ ذلك جعفرًا فقال: أدركوه وأنزلوه " ³ . إن هذه الكلمات المضيئة الوهاجة ، تبقى على مر الزمان نبراسا يهتدي به المتطلعون إلى سمات العلماء ، والراغبون في الوصول إلى درجات العلماء العاملين ، الذين يجهرون بالحق ولا يخافون في الله لومة لائم ، كما تبقى شاهدة على أن درجة العلماء الربانيين ، لا يمكن أن يصل إليها أي أحد دون دفع الضريبة الباهضة لكلمة الحق المؤسسة على العلم الصحيح . وحتى نوضح سر عبقرية الإمام مالك رحمه الله سنستعرض أهم العوامل التي ساعدت على ظهور هذه الشخصية الفذة في مسرح أحداث تاريخ التشريع الإسلامي في أجل وأسمى أدواره الحضارية .

أولا : العوامل الشخصية :

يقصد بالعوامل الشخصية التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في أقطار كبيرة، وأمصار عديدة ، تلك العوامل التي ترجع إلى الخصائص الكامنة في شخصية مؤسس المذهب ، وهي تتمثل فيما يلي :

أ. صاحبه هو إمام دار الهجرة " الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي يفتح الباء نسبة إلى ذي أصبح بطن من حمير ، وهو من

العرب ، ويعد مالك رحمه الله ، عالم المدينة وأحد أئمة المذاهب المتبوعة وهو من تابعي التابعين ، وجدّه أبو عامر من الصحابة حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معارضة كلّها إلا بدرًا ، وجدّه مالك من كبار التابعين ، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان إلى قبره وغسلوه ودفنوه ليلاً و أما أبوه أنس فهو من التابعين. ومالك رحمه الله من تابع التابعين⁴.

ب. انتسابه لأسرة كريمة أصلها ثابت وفرعها في السماء شهدت بفضائلها ومكارمها الحوادث والأيام والعصور لقد ولد الإمام مالك بالمدينة المنورة سنة ثلاث وتسعين ، " وطلب العلم على علمائها أئمة مدرسة الحديث وقد لازم منهم أولاً عبد الرحمن بن هرمز وأقام معه مدة طويلة لم يخلطه بغيره ، واخذ عن نافع مولى ابن عمر ، وابن شهاب الزهري ، وأما شيخه في الفقه فهو ربيعة بن عبد الرحمن المعروف بريعة الرأي ، ولما شهد له شيوخه بالحديث والفقه جلس للفتيا والتدريس " ⁵ . وهناك مصادر ومراجع كثيرة تحدثت عن هذا الإمام الجليل من جوانب شتى ⁶ . وجاء في حاشية الصاوي على الشرح الصغير " ونأهيك ما أشتتهر : لا يُفتى ومالك بالمدينة . روى الحاكم وغيره بروايات متعدّدة : «يُخرُجُ ناسٌ من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة» . وخرجه الترمذي بلفظ : «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ» . ويُروى : «أَبَاطَ الْإِبِلُ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَفْقَهُ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ» قَالَ سُفْيَانُ : كَانُوا يَرَوْنَهُ مَالِكًا . قَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ : يَعْنِي سُفْيَانَ يَقُولُهُ كَانُوا يَرَوْنَهُ : التَّابِعِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ . " ⁷ وهذه شهادات عظيمة من كبار رجال العلم والفقه وأكرم بها من شهادات.

قضى الإمام مالك حياته في رحاب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاهرة العامرة بعلم الصحابة والتابعين . وكان الإمام مالك رحمه الله " لا يركب في المدينة ، مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة " ⁸ هذا التصرف النادر والخاص به رحمه الله ، قد يعجب منه الكثير ممن اعتاد ركوب وسائل النقل المتنوعة ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على مبلغ تأدبه

الجم مع المصطفى الكريم وأكرم به من أدب لا يبلغه إلا أصحاب البصائر الذين ينظرون بنور الله تعالى .

ت. عاصر الإمام مالك جمعا من التابعين الذين أخذوا العلم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين تشرفوا برؤية وجه الحبيب ، والاعتراف من النبع النبوي الصافي . بالإضافة إلى أخذه فقه الرأي من ربيعة الرأي ، ويحيى بن سعيد، وجمعه بين الفقه والحديث ، حيث كان يتحرى في الرواية ، فلا يأخذ الحديث من ذوي هوى مبتدع، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة ، إذا كان لا يعرف ما يحدث، ولا من سفيه ، ولا من كذاب ، ومن ثم فقد كان الإمام يسعى لوضع الضوابط العلمية الصارمة لمنهج تلقي العلم الشريف ونشره بين الأنام، درءا للفتن ومنعا لتطاؤل المتطفلين الذين لا يمتلكون الأدوات الإجرائية التي تتيح لهم فهم وفقه النصوص . ونظرا لشهرته الواسعة لا تكاد تخلو موسوعة من الموسوعات الشهيرة من ذكره والإشادة بفضائله رحمه الله ⁹ .

ث. محافظة الإمام مالك رحمه الله على جلال العلم وعزته ، وكان في صدر حياته فقيرا ثم فتح الله عليه فكان كثير العطاء لطلبة العلم ، وكان يجب أن يظهر أثر نعمة الله عز وجل عليه في ملبسه ومطعمه ومسكنه وكان متجملا في مظهره ، وكان من يذهب إلى داره من الضيوف يجد فيها كل أسباب الراحة والنظافة والمظهر الأنيق ويروى عنه أنه قال : " ما أحب لامرئ أنعم الله عليه أن يرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم " ¹⁰ والتوازن بين مطلبي الروح والجسد هو المنهج الذي سلكه الإمام مالك، وأرشد طلبة العلم إليه ذلك لأن " العناية بالملبس والمسكن من شأنها تنمية العزة في النفس ، وإبعاد الذلة والاستحذاء أمام الناس ... " ¹¹ وقد أشارت كثير من المراجع إلى أن الإمام مالك رحمه الله كان " مبالغا في تعظيم العلم والدين ، حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، واستعمل الطيب، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ، ثم حدث فقليل له في ذلك ، فقال : " أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ¹² . وهكذا فقد ورث مالك بتوفيق منه سبحانه وبجده واجتهاده وأخلاقه الكريمة فقه الصحابة والتابعين وتبوأ عرش

مدرسة المدينة الفقهية وقد ذكر ابن المديني: أن علم زيد بن ثابت ومن أخذ عنه من التابعين انتهى إلى مالك " ومن ثم أصبح فريد عصره ، واشتهرت المقولة في شتى الأنحاء التي تشيد بمكانته " أفتى ومالك في المدينة ؟" ومكث بهذه الرياسة العلمية مدة طويلة في المدينة المنورة . التي كانت بمثابة القلب والروح للعالم الإسلامي . إلى أن توفي رحمه الله سنة 179هـ¹³ .

ج. أما عن آثار الإمام مالك العلمية فيذكر الدارسون أن كتاب الموطأ يعد " من أكبر آثار مالك التي نقلت عنه. صُنِّفَت الأحاديث فيه على الموضوعات الفقهية. روى الموطأ عن مالك كثير من العلماء وطبع بروايتين إحداهما رواية محمد بن الحسن الشيباني من أصحاب أبي حنيفة، والثانية رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي. وبجانب الموطأ فللإمام مالك المدونة وقد صنفها سحنون التنوخي وراجعها علي بن القاسم. واحتوت على جميع آراء مالك المخرجة على أصوله، وكذا آراء أصحابه. وهي من أهم الكتب التي حفظت مذهب الإمام مالك"¹⁴

ح. إن الشخصية الفذة التي تميّز بها الإمام مالك ، كان لها أكبر الأثر في أتباعه ، ومن ثم المسارعة إلى اعتناق مذهبه والعمل على نشره . والسر في ذلك يكمن في كونه رحمه الله تعالى ينطبق عليه التعريف الذي أورده جيمس دريفر للشخصية " باعتبارها التنظيم الدينامي المتكامل لخصائص الفرد الفيزيائية والعقلية والخلقية والاجتماعية كما يعبر عن نفسه أمام الآخرين في مظاهر الأخذ والعطاء في الحياة الاجتماعية . وهي بهذا تشمل الجوانب الطبيعية والمكتسبة من الدفعات والعادات والميول والعقد والعواطف والمثاليات والآراء والمعتقدات الخاصة بالفرد والتي تتضح من علاقاته وتفاعلاته مع وسطه الاجتماعي "¹⁵ جمع من الأوصاف والفضائل ما فيه قد أربى على غيره من علماء عصره، هذا هو المقصد الأصلي الذي من أجله تبنى المغاربة المذهب المالكي، وهو أمر واضح جلي، صرح به رواد المذهب الأوائل يشهد لذلك ما ذكره الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى من قصة السائل المغربي الذي سأل الإمام عن مسألة؟ فقال له: ما أدري ما هي. فقال الرجل: "يا أبا عبد الله ! تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك". فهذا المغربي تلميذ

الإمام أفصح عن السبب الحقيقي الذي دفع المغاربة إلى التمسك بالمذهب، وانتحالهم له "ليس على وجه الأرض أعلم منك".¹⁶

ويقول الإمام ابن رشد الجد رحمه الله تعالى موضحاً سبب اختيار المغاربة والأندلسيين للمذهب المالكي ، كاشفاً في الوقت نفسه عن مكانة صاحب المذهب رحمه الله تعالى : "ولا اعترض علينا في هذا بانتحالنا لمذهب مالك رحمه الله وتصحيحنا له وترجيحنا إياه على من سواه من المذاهب، لأننا لم نتحل مذهبه في الجملة إلا وقد بان لنا صحته، وعرفنا الأصول التي بناه عليها، واعتمد في اجتهاده على الرجوع إليها، مع علمنا بمعرفته بأحكام كتاب الله عز وجل من ناسخه ومنسوخه، ومفصله، ومجمله، وخاصه، وعامه، وسائر أوصافه ومعانيه، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبين صحيحها من سقيمها، وأنه كان إماماً في ذلك كله، غير مدافع فيه بشهادة علماء وقته له بذلك، وإقرارهم بالتقدم له فيه، ولأننا اعتقدنا أيضاً أنه هو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة"...¹⁷ وفي رواية أخرى " فلا يجدون أفقه من عالم المدينة ".

وعلى الرغم من أن بعض العلماء يرون أن الفقه والعلم مترادفين إلا أن الفقه يختص بمعنى صفاء الفهم فهو زيادة في المعرفة ، ولهذا السر يرى الشيرازي أن الفقه هو العلم بخفايا الأمور ودقائقها وأنه منزلة فوق مجرد العلم ، ولهذا أيضاً قال المصطفى صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " ولم يقل " يعلمه الدين " لأن الفقه أدق وأعمق من مجرد العلم ، وهذه معجزة نبوية ، وقعت كما أخبر بها النبي الكريم ، حيث أن المقصود بالعالم كما يقول سفيان بن عيينة أحد معاصري مالكا ومن جاء بعده هو "مالك بن أنس" الذي اجتمع له من التلاميذ العدد الكبير وبلغ عدد من رووا عنه من العلماء المحدثين ألفاً وثلاثمائة ، وهو عدد لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده وكان مجلسه العلمي في المدينة النبوية محجاً يحج إليه طلاب العلم والمعرفة والتفقه في الدين من مشارق الأرض ومغاربها¹⁸. وقال عبد الرحمن بن مهدي (ت

198هـ) : أئمة الناس في زمانهم أربعة سفيان الثوري بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة " ¹⁹ .

ومن فضائل مالك التي كانت سببا في انتشار مذهبه شهادة أصحاب المذاهب الفقهية الكبار بمكانته ومكانة كتاب الموطأ فقد قال الشافعي رحمه الله : " ما كتاب أكثر صوابا بعد كتاب الله من كتاب مالك ، يعني الموطأ " ²⁰ ومن أقوال العلماء فيه قول عبد الرحمن بن مهدي " ما رأيت أعقل من مالك ، ولا رأيت رجلا أهيب في قلبي من مالك رحمه الله ²¹ والشهادات الحية في مكانة مالك ونبيل وطيب أخلاقه ، وصدقه وعدله وأمانته ، وورعه كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها ²² .

كَانَ الْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيهًا وَفَضَائِلُهُ وَمَنَاقِبُهُ مَشْهُورَةٌ دُونَتْ بِهَا الدَّوَابِ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا الْأَثَرُ الْمَشْهُورُ الصَّحِيحُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يُوشِكُ أَنْ تَضْرِبَ أَكْبَادُ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَلَا يَجِدُونَ أَعْلَمَ وَأَفْقَهَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ " . ورأى الإمام سفيان أن المقصود بهذا الحديث الشريف هو الإمام مالك وذلك لحجج ذكرها الإمام النفراوي . ²³ وحتى تسميته بمالك فيها التفاؤل بملكه العلوم ، وقد تحقق ذلك بفضل الله تعالى فصار إمام الأئمة كيف ذلك ؟ الإمام الشافعي لتربيته إياه وقوله : مالك شيعي ... والإمام أحمد لأخذه عن الشافعي والإمام أبو حنيفة أثبت السيوطي أخذه عن مالك في تزيين الممالك بترجمة مالك قال : وألف الدارقطني جزءا في الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك ، قال ولا غرابة في ذلك فقد روى عن مالك من هو أكبر سنا وأقدم وفاة من أبي حنيفة كالزهري وربيعة وهما من شيوخه ونافع بن أبي نعيم القاري " ²⁴ . قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَتَحَدِّثًا بِأَسْلُوبِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَقْدَارَ الْعُلَمَاءِ وَيَنْزِلُونَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، وَمَتَدِّثًا بِدَثَارِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَوَاضِعِينَ الصَّادِقِينَ : مَالِكُ أَسْتَاذِي وَعَنْهُ أَخَذْتُ الْعِلْمَ وَمَالِكُ مُعَلِّمِي وَمَا أَخَذْتُ مِنْ عَلِيٍّ مِنْ مَالِكٍ وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ ²⁵ .

وفي كتاب (كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري) تأليف العلامة الشيخ محمد الخضر بن سيدي عبد الله بن يابى الحكني الشنقيطي عالم المدينة

المنورة ومفتيها الكثير من الدلائل الهامة التي يستنتج من خلالها ، مكانة الإمام مالك ومذهبه وبالتالي ، أهليته ليشغل مساحة واسعة من العالم الإسلامي ومن ذلك : " إجماع الأئمة على نقده للرجال وثقته وأمانته رضي الله عنه... وقال ابن حبان في الثقات كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يرو إلا ما صح ، ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك وبه تخرج الشافعي " ²⁶ وكفى بهذه الشهادات دلالة على مكانة وفضل مالك رحمه الله .

العوامل النفسية والعملية :

هذه العوامل تتمثل في مجموعة من الصفات والكمالات النفسية التي تحلّى بها الإمام مالك ، وصارت من سجايه التي تناقلتها القوافل ، وتداولها الركبان فمنها :
أ. الصدق والأمانة وتقديس العلم ، والتواضع ، وقبل كل ذلك الإخلاص في القول والعمل ، مصداقا لقول الحق سبحانه ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ²⁷ . حيث كان لهذه الخصائص أكبر الأثر في توجيه عناية الحكام والمسلمين للإقتداء به ، وجعله إماما لهم في شؤونهم الدينية ، ومن ذلك أنه ما تصدّى للفتيا حتى شهد له سبعون عالما من أكابر العلماء بذلك ، وفي هذا يقول رحمه الله : " ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني ، هل يراني موضعا لذلك؟ سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك ، فقلت يا أبا عبد الله فلو نَهَوَك ؟ قال. كنت أنتهي ، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه . وكان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل وتبخر وتطيّب ، وإذا رفع أحد صوته عنده قال: أغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ ²⁸ . فمن رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب. ورع الإمام مالك الشديد والتزامه مبدأ الاحتياط والتثبت في الفتوى والاجتهاد فكثيرا ما كان يجيب بـ " لا أدري " لماذا؟ هذا تورعا ، وتعلّما لعلماء الأمة

ليتأسوا به ، كما اقتدى هو بأهل العلم والفقه ببلده ، ومن مآثراته في ذلك " من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه في الآخرة ، ثم يجيب " وقوله " أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه " وهذا كله منه رحمه الله تقديرا للأمانة العلمية التي يتحملها العالم لأنه موقع عن رب العالمين ²⁹ وهناك مواقف كثيرة صدرت عن الإمام مالك تدل على احتياظه في الفتوى والقول بغير علم أو تثبت ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله منها الكثير في الموافقات ومنها قوله " إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشر سنة ، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن " ³⁰ وخليق بمن ينتسب للعلم أن تكون له في الإمام مالك أسوة حسنة .

ت. الإمام مالك رحمه الله تعالى كان لا يرى العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب ³¹ ، ولا يتأتى هذا إلا إذا كان العالم ورعا تقيا نقيًا زاهدا ، يؤثر ما عند الخالق عما عند الخلق الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا . قال تعالى ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ³² ومنه قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا " ³³ . أي " نجاة مما تخافون وقيل المراد بالفرقان نور الكائن في القلب الذي يفرق به بين الحق والباطل وهو أولى كما يقول الصاوي رحمه الله ³⁴ . من هنا كانت التقوى أساس الفتح الرباني الذي تلقاه الإمام مالك ، وأهله ليكون منارة شاخصة للعلم الصحيح .

كثرة تلاميذ الإمام مالك:

إن هؤلاء التلاميذ النجباء ، والذين تخرجوا من المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية قد انتشروا في مختلف الأقاليم ، وبالتالي عملوا على تلقين أصول المذهب المالكي لطلبة العلم . ويمكن أن نذكر ههنا العلاقة المتميزة التي كانت تجمع بين صاحب المذهب والطلبة المغاربة الذين خصوا بمعاملة متميزة من الإمام مالك نظرا لنباهتهم وفطنتهم وأخلاقهم الكريمة، فقد " كان يلقب بهلول بن راشد بـ"عابد البلد"، وعرف عبد الله بن عمر بن غائم أيضا بأنه "صاحب مالك بن

أنس"، وبلغ من إعجاب مالك بهذا العالم وتقديره له أن عرض عليه ابنته للزواج والإقامة عنده بالمدينة. ... ولما توفي الإمام مالك، اتجه المغاربة إلى تلامذته من أمثال ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم، واستمرت الصلات بين أعلام المدرسة المالكية وعلماء المغرب حتى القرن الخامس الهجري حيث كانت صحوة المالكية بالمغرب في هذه الحقبة ثمرة من ثمارها الأساسية.³⁵

وهناك من تلاميذ الإمام مالك، من استطاع أن يتفرد في سماء الحضارة الإسلامية، وأن يؤسس مذهباً فقهياً متميزاً، انتشر في أصقاع من العالم الإسلامي، ألا وهو الإمام الشافعي رحمه الله، قال عنه صاحب الإرشاد في معرفة علماء الحديث الإمام خليلي (ت 446هـ): "أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ إِمَامُ الْأَيْمَةِ، رَوَى عَنْ مَالِكِ الْمُوْطَّأِ وَغَيْرِهِ وَيَتَفَرَّدُ عَنْهُ بِأَحَادِيثٍ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كُنْتُ سَمِعْتُ الْمُوْطَّأَ مِنْ بَضْعَةِ عَشَرَ نَفْسًا مِنْ حُقَاطِ أَصْحَابِ مَالِكٍ، فَأَعَدُّهُ عَلَى الشَّافِعِيِّ؛ لِأَنِّي وَجَدْتُهُ أَقْوَمَهُمْ بِهِ"³⁶

ومن مساهمة كبار أعلام المذهب في نشر المذهب المالكي، نذكر الإمام الشهيد القائد أسد بن الفرات، وهو نيسابوري الأصل قيرواني الدار، أخذ عن مالك موطأه في المدينة، ورحل إلى العراق فأخذ من أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة، وأخذ عن أبي يوسف الأسئلة التي كان يثيرها الحنفية، ويضعون لها الأحكام على مقتضى مذهبهم، فجردها أسد بن الفرات من أحكامها، وعرضها على ابن القاسم، وتلقى منه أحكامها على مذهب مالك، أو اجتهد ابن القاسم نفسه، أو اجتهد أشهب، ودون ذلك كله في الكتاب المشهور المسمى بالمدونة، فالمسائل المجردة مسائل الحنفية، والأحكام أحكام مالك وصحبه، وتشتمل على نحو ستة وثلاثين ألف مسألة. وقد حمل أسد بن الفرات ذلك كله إلى القيروان ونشره بالمغرب، وتولى القضاء بها زمناً، كما تولى قيادة الجيش الذي فتح صقلية لبني الأغلب، وقد قتل هو محاصر لسرقوسة سنة 213هـ.³⁷ ويمكن أن نذكر أيضاً الإمام سُحُنُون، وابن اللَّبَّاد، وابن أبي زيد القيرواني المسمى بـ "مالك الصغير" وغيرهم كثير.³⁸

العوامل الزمانية والمكانية :

يقصد بالعوامل الزمانية والمكانية ، دور موسم الحج ، وزيارة المدينة النبوية ، لأداء مناسك الحج والعمرة ، لشهود المنافع ومنها : تلقي العلم والأحكام ، ولم يكن هناك أعلم من مالك بن أنس في شرح أحكام الإسلام ، بأسلوب يتفياً مقاصد الشريعة الإسلامية . ومكانة المدينة النبوية في أرواح وأفئدة المسلمين ، إذ تمثل دار هجرة الرسول الكريم ، ومثواه الأخير وموطن آلاف الصحابة والتابعين ، والآثار الكثيرة الواردة في فضلها وساكنيها ، إضافة إلى تلقي السنن العملية جيلاً عن جيل ، مما كان له أبلغ الأثر في ترسيخ أحكام الشريعة الإسلامية ، وتلقيها ، ومن ثم انتشارها عبر الأصقاع عن طريق قوافل الحجيج وزوار الروضة الشريفة

كما كانت المدينة المنورة مستقر علم الصحابة الكبار المشهورين بالفتوى والقضاء كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين ، والتابعين ، " وسار على هذا النهج الفقهاء السبعة بالمدينة قال عبد الله بن المبارك : " كان فقهاء المدينة سبعة . فذكرهم . ثم قال : وكانوا إذا جاءهم المسألة دخلوا فيها جميعاً فنظروا فيها ، ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم ، فينظرون فيها فيصدرون " وكانت لهؤلاء الفقهاء السبعة وغيرهم من العلماء المرموقين بالمدينة مكانة كبيرة ، نظراً لعلمهم الوافر وثقة الناس بهم ³⁹ . ويقول أحمد أمين عن مدرسة المدينة التي انتقل علمها إلى الإمام مالك " وأكثر رجال هذه المدرسة عرفوا بالحديث والفقه فيه ، فبعد عصر الصحابة كان راس المدرسة من التابعين سعيد بن المسيب ، وقد كان يعد وارث عمر في علمه في المدينة ؛ وتصدر سعيد للفتوى ، وكان لا يهاجها ، فأثر عنه كثير من الفتاوى والآراء ، وكان يقول : " ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي قضاء إلا وقد علمته " ⁴⁰ وَ الْمُرَادُ بِالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَلْيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الخطاب ⁴¹ .

العوامل السياسية :

تتجلى العوامل السياسية التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في الأمور التالية:

أ. اعتناق الحكام والأمراء للمذهب المالكي ، إضافة إلى اعتماد أولي الأمر المذهب المالكي في تولية خطة القضاء والفتوى ، وإنشاء المدارس النظامية المختصة في المذهب المالكي وأصوله وفروعه ، ومن ثمّ توجيه عناية الطلبة لدراسة المذهب المالكي . فقد " كان من شروط تولي القضاء في الأندلس حفظ القرآن الكريم وحفظ موطأ الإمام مالك ففي عهد الحكم بن هشام بلغ المذهب أوجه في الأندلس ، فقد كان يحيى بن يحيى الفقيه المالكي المشهور مكيّنا عند الحكم فنشر المذهب في الأندلس والمغرب كما نشر أبو يوسف المذهب الحنفي في العراق " ⁴² ، وانطلاقاً من التعاون بين العلماء وأولياء الأمور المتفهمين لمكانة المذهب المالكي ودوره في تماسك المجتمع وتوطيد دعائم الأمن والمحبة والإيمان .

ب. المنافسة التي كانت بين أمراء بني أمية بالأندلس وخلفاء بني العباس في بغداد ... والمخافة أحياناً التي كانت بين أهل المدينة وأهل العراق بصفة عامة ، وما كان بين مالك والعباسيين بصفة خاصة ومما يذكر في هذا الإطار أيضاً : الرغبة الملحة من السلطة الحاكمة في توحيد كلمة المسلمين ، وهو ما دفع بعامة أمراء بني أمية بالأندلس إلى جمع الناس على المذهب الذي اختاره سواد علماء الأمة بالأندلس وهو المذهب المالكي ⁴³

ت. دور الحكام في تدعيم وتوطيد أركان المذهب المالكي ، فلقد كان لاعتناق السلطة الحاكمة خصوصاً في بلاد المغرب العربي للمذهب المالكي الدور الكبير في نشر والتمكين للمالكية الذين وجدوا كل الدعم والمساندة من الحكام ، من خلال إسناد مناصب القضاء والإمامة والتدريس للمتضلّعين والمتمسكين بالمذهب المالكي ، ومن ثمّ التضييق ومحاصرة المذاهب الأخرى ، كما يلاحظ ذلك في الرسالة التي بعثها الأمير المرابطي تاشفين بن علي إلى أهل بلنسية بعد استرجاعها سنة

495هـ يؤكد فيها على أن مدار القضاء والفتوى على مذهب دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله وأن " من حاد عن رأيه بفتواه ومال إلى الأئمة إلى سواه فقد ركب رأسه واتبع هواه".⁴⁴ وطبعاً نحن هنا نتحدث في نطاق سياق تاريخي ، ساهم في عملية الانتشار. أما أصحاب المذاهب أنفسهم فقد كانوا ينهاون عن التقليد ، ويشجعون على الاجتهاد لمن حصل آله ، من هنا يمكن القول : إن العوامل السياسية كانت في شق منها وبالا على تطور الفقه الإسلامي إلى آفاق رحبة ، حيث عمقت روح التعصب المذهبي ، ودعت إلى تلك الدعوة الغربية والتي ما كانت غريبة عند دعايتها والمتمثلة في إقفال باب الاجتهاد للأسف، يقول الباحث خالد عبد الرحمن العك : " وقد ساعد على انتشار تلك الروح التعصبية مساندة الحكام ، وأصحاب النفوذ لهذا المذهب أو ذاك ، فكانوا ينشئون المدارس ، ويقصرون التدريس فيها على مذهب بعينه ، فكان ذلك سبباً هاماً للإقبال على مذاهب معينة ، خوفاً من الحاكم وأعوانه ، أو حرصاً على إرضاء صاحب النفوذ ، ومن ثم طمعاً في الكسب ، وفي نيل الأعطيات التي كانت تناله من ذوي السلطان والجاه " ⁴⁵ وما ذكره هذا الباحث قد ذكره من قبل المرحوم سيد سابق في كتابه الشهير فقه السنة حيث قال أجزل الله له مثوبته فقه السنة " فلما جاء أئمة المذاهب الأربعة تبعوا سنن من قبلهم، إلا أن بعضهم كان أقرب إلى السنة، كالحجازيين الذين كثر فيهم حملة السنة ورواة الآثار، والبعض الآخر كان أقرب إلى الرأي كالعراقيين الذين قل فيهم حفظة الحديث) لتنائي ديارهم عن منزل الوحي. بذل هؤلاء الأئمة أقصى ما في وسعهم في تعريف الناس بهذا الدين وهدايتهم به، وكانوا ينهاون عن تقليدهم ويقولون: لا يجوز لأحد أن يقول قولنا من غير أن يعرف دليلنا، صرحوا أن مذهبهم هو الحديث الصحيح، لأنهم لم يكونوا يقصدون أن يقلدوا كالمعصوم صلى الله عليه وسلم، بل كان كل قصدهم أن يعينوا الناس على فهم أحكام الله. إلا أن الناس بعدهم قد فترت همهم، وضعفت عزائمهم وتحركت فيهم غريزة المحاكاة والتقليد، فاكتفى كل جماعة منهم بمذهب معين ينظر فيه، ويعول عليه، ويتعصب له، ويبدل كل ما أوتي من قوة في نصرته، وينزل قول إمامه منزلة قول الشارع، ولا يستجيز

لنفسه أن يفتي في مسألة بما يخالف ما استنبطه إمامه، وقد بلغ الغلو في الثقة بهؤلاء الأئمة حتى قال الكرخي: كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ.⁴⁶ ثم بين فضيلته العواقب الوخيمة التي اتجرت من ذلك التعصي المذهبي المذموم فقال: " بالتقليد والتعصب للمذاهب فقدت الأمة الهداية بالكتابة والسنة، وحدث القول بانسداد باب الاجتهاد، وصارت الشريعة هي أقوال الفقهاء، وأقوال الفقهاء هي الشريعة، واعتبر كل ما يخرج عن أقوال الفقهاء مبتدعا لا يوثق بأقواله، ولا يعتد بفتاويه. وكان مما ساعد على انتشار هذه الروح الرجعية، ما قام به الحكام والأغنياء من إنشاء المدارس، وقصر التدريس فيها على مذهب أو مذاهب معينة، فكان ذلك من أسباب الإقبال على تلك المذاهب، والانصراف عن الاجتهاد، محافظة على الأرزاق التي ربت لهم! سأل أبو زرعة شيخه البلقيني قائلا: ما تقصير الشيخ تقي الدين السبكي عن الاجتهاد وقد استكمل آله؟ فسكت البلقيني، فقال أبو زرعة: فما عندي أن الامتناع عن ذلك إلا للوظائف التي قدرت للفقهاء على المذاهب الأربعة وأن من خرج عن ذلك لم ينله شئ من ذلك، وحرم ولاية القضاء، وامتنع الناس عن إفتائه، ونسبت إليه البدعة فابتسم البلقيني ووافقه على ذلك. وبالعكوف على التقليد، وفقد الهداية بالكتاب والسنة، والقول بانسداد باب الاجتهاد وقعت الأمة في شر وبلاء ودخلت في جحر الضب الذي حذرها رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان من آثار ذلك أن اختلفت الأمة شيعا وأحزابا، حتى إنهم اختلفوا في حكم تزوج الحنفية بالشافعي، فقال بعضهم: لا يصح، لأنها تشك في إيمانها (لان الشافعية يجوزون أن يقول المسلم: أنا مؤمن إن شاء الله). ، وقال آخرون، يصح قياسا على الذمية، كما كان من آثار ذلك انتشار البدع، واختفاء معالم السنن، وخمود الحركة العقلية، ووقف النشاط الفكري) ، وضياح الاستقلال العلمي، الأمر الذي أدى إلى ضعف شخصية الأمة، وأفقدتها الحياة المنتجة، وقعد بها عن السير والنهوض، ووجد الدخلاء بذلك ثغرات ينفذون منها إلى صميم الإسلام.⁴⁷ وفي إطار هذا السياق دأب الباحثون على الإشادة بدور يحيى بن يحيى في نشر المذهب المالكي ونصرته خاصة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ... وفي ذلك يقول

ابن حزم رحم الله الجميع : " مذهبنا انتشرا في بدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ... ومذهب مالك عندنا بالأندلس ... " ⁴⁸ و تحدث أحمد تيمور عن مدى انتشار المذهب المالكي والمواطن التي شغلها ابتداء من موطنه بالمدينة المنورة إلى الحجاز ثم بلاد إفريقية والأندلس وصقلية والمغرب والأقصى ثم تحدث رحمه الله عن انتشاره ببلاد مصر ، وأنه لا يزال منتشرا إلى الآن لا سيما في الصعيد المصري ، وتحدث عن انتشاره في إفريقية والأندلس فلما تولى عليها المعز بن باديس سنة 407 هـ حمل أهلها وأهل ما والاها من بلاد المغرب على المذهب المالكي ، وحسم مادة الخلاف في المذاهب . فاستمرت له الغلبة عليها وعلى سائر بلاد المغرب . وفي ذلك يقول مالك بن المرحل المالكي شاعر المغرب :

مذهبي تقبيل خدّ مذهبٍ سيدي ماذا ترى في مذهبي
لا تخالف مالكا في رأيه فعليه جل أهل المغرب

وهو الغالب على هذه البلاد إلى اليوم . " ⁴⁹ وقد استمر المذهب المالكي في التآلق وسطوع نجومه ، على الرغم من الفترات العصيبة التي مرّ عليها في بعض المناطق لا سيما في الفترة الفاطمية التي حاولت اضطهاده دون جدوى " ففي سنة 380 هـ . 989 م مثلاً ضرب رجل بمصر وطيف به في المدينة ، لأنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس " ⁵⁰ ، ولكن على الرغم من كل ذلك إلا أن المذهب المالكي وبفضل صبر أولئك العلماء ومرابطتهم في الذود عن قيم الإسلام الأصيلة لا يزال سائدا الآن في " بلاد المغرب ، وفي صعيد مصر ، وفي السودان ، وقطر ، والبحرين ، والكويت ، والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية " ⁵¹

المرونة والسلاسة التي يتصف بها المذهب المالكي :

هذه المرونة التي تميز بها المذهب المالكي ، كانت من بين العوامل الهامة التي ساعدت على انتشار المذهب ، وتلقي جماهير المسلمين له بالقبول والتمسك لا سيما المصالح المرسلّة والعرف والاستحسان (التي أضفت على المذهب مرونة تيسر للناس ممارسة مصالحهم الضرورية والحاجية والتحسينية ، دون أن يجدوا في ذلك أي حرج ، وفي هذا يقول الشيخ أبو زهرة معقبا على المدونة) : إن المدونة تشمل آراء مالك

المروية وآراء أصحابه، وتخريج ابن القاسم على أصول مالك، فهي في الواقع قد سنت سبيل الفقه المقارن بموازنة آراء مالك بآراء أصحابه ، وهي قد سنت أيضا السبيل لتخريج المسائل على أصول مالك ونسبتها إليه على هذا الاعتبار ، وبذلك فتح باب التخريج في ذلك المذهب العظيم منذ عصره الأول ، والتخريج في المذهب سبيل نموه، وأساس شمول أحكامه لأن الحوادث لا تنتهي ، وإذا كان الفقهاء الذين نشروا المذهب حاولوا إتباعها في كل ما يجد من أحداث فلا بد من التخريج على أصول الأئمة ، وقد وضع ابن القاسم الأساس فبنى عليه من بعده ⁵² .

وخلاصة فقه مالك البحث عن المصلحة ، وحيثما تكن فثم شرع الله، وعنده أن الشارع لم يقصد بنصوصه إلا المصلحة ، ويرى مالك أن المصلحة إما أن تؤخذ من النص ، أو من عموم ما ورد من النصوص ، كقوله صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار " وقوله تعالى : " وما جعل عليكم في الدين من حرج " ، والمصلحة التي ليس لها في شريعة الله أمر أو نهي ، وهذه المصلحة هي التي تسمى " المصلحة المرسلة " . أو المصلحة التي يكون نفعها أكثر من ضررها " ⁵³ ، وهذا البعد المقاصدي الكبير في المذهب المالكي جعله فقها " مصلحيا يربط الأصول الشرعية بمصالح الناس " ⁵⁴ . ولاحظت الموسوعة الذهبية في الحضارة الإسلامية " أن استعمال المصلحة قد سيطر على كثير من المسائل ، حتى اقترنت المصلحة بالمذهب ، فجعل المسائل المستندة إلى الرأي جاءت على أساس المصلحة ، بل وكانت المصلحة أحيانا تقدم على القياس وخير الواحد " ⁵⁵ .

العوامل الكامنة في المذهب المالكي والتي ساعدت على انتشاره الكبير :

يتميز المذهب المالكي بعدة خصائص ، لا نجدها في بعض المذاهب الفقهية الكبيرة الشيء الذي جعل الناس تضرب أكباد الإبل في زمن حياة مالك للاعتراف والارتشاف من منبعه الصافي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، والإجماع ، وعمل أهل المدينة ، والقياس ، والاستحسان ، وقول الصحابي ، وشرع من قبلنا ، والاستصحاب ، والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ، والعرف ، والاستقراء ، والأخذ بالأحوط ، ومراعاة الخلاف ⁵⁶ إضافة إلى القواعد العامة المتفرعة عن الأمهات ،

والتي أنماها بعض المالكية إلى ألف ومائتي قاعدة ، تغطي مجمل أبواب الفقه الإسلامي . " وقد كان مالك يجعل لعمل أهل المدينة أهمية كبرى ، فقد يُردُّ الحديث الأحادي لأنه لم يجر عليه عمل ، فكان يقول مقالة شيخه ربيعة بن عبد الرحمن : " ألف عن ألف خير من واحد عن واحد " ⁵⁷ .

إن هذه الأصول والقواعد مبثوثة في كتب علم الأصول التي ألفها المالكية أو في شروح الموطأ كالتمهيد لابن عبد البر ، والمنتقى للباجي ، والقبس وترتيب المسالك لأبي بكر بن العربي ، وفي كتب الأحكام وكتب الخلاف وفي الشروح والتعليقات على المدونة والعتبية ... ومن هنا فإنه نظرا للأقوال الكثيرة داخل المذهب فإن الدارس سيقف على " ثمرات فكرية متنوعة وألوانا من المنازع الفقهية صالحة للتطبيق ، إذ توافق البيئات المختلفة والقطار المتباينة " ⁵⁸ .

ولعل أجمع ما كتبه المالكية في العصور المتأخرة عن أصول مذهب مالك خاصة هو ما شرح به الشيخ محمد يحيى الشنقيطي منظومة الفقيه سيدي أحمد بن محمد بن أبي كف التي جمع فيها أصول مذهب مالك وعنونها بـ " إيصال المسالك في أصول الإمام مالك " حيث يقول منها :

أدلة المذهب مذهب الأغر مالك الإمام ستة عشر

وهذه الأصول ومنها على سبيل المثال مراعاة الخلاف : وهو إعمال لدليل مخالفه في اجتهاده ... إذا كان دليل المخالف قويا فقط ، ويدل اعتماد الإمام مالك لهذا الأصل على إنصافه وبعد نظره ، وتطلعه المستمر على الاستفادة من خلاف من خالفه ⁵⁹ .

لقد ساعدت هذه الآليات علماء المذهب على وسائل الاستنباط، ومن ثمَّ أهلت بعضهم لبلوغ درجة الاجتهاد، وأغنت رصيدهم الفقهي وعطاءهم العلمي. كما أتاحت للمذهب أن يكون أكثر مرونة في مواجهة مختلف القضايا والمشكلات التي واجهت أو تواجه الأمة الإسلامية في شتى العصور .

انفتاح المذهب المالكي على مختلف المذاهب، والشرائع السماوية :

إن هذا الانفتاح على الآخر أعطى للمذهب وأربابه شرعية إقامة حوار الحضارات والأديان على أسس وأصول ثابتة، وهذا من خلال ما يلي:

أ. القواعد المتينة التي ارتكز عليها المذهب المالكي ، ليكون بنيانا راسخا وطودا شامخا ، ويمكن أن تمثل لذلك بقاعدة " شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد الناسخ " ويتجلى هذا في مشروعية الجعالة المستمدة من قوله تعالى ﴿ قَالُوا نَقْذُرُ صُوءَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾⁶⁰ ، وهذا في شريعة يوسف عليه السلام ، مما يدل على قمة الانفتاح . ومما يدل على تسامح المذهب واتساعه للجميع تجويزه الصلاة خلف المخالف له في الفروع الفقهية ، كما هو الشأن في المذهب الحنفي مثلا .

ب. وآية سماحة المذهب المالكي : هو عدم تكفيره المسلمين بالذنب والهووى فقد سئل مالك عن المعتزلة أكفار هم ؟ فقال : من الكفر فرّوا. وهذا فيه دلالة على مدى رحابة صدر المذهب في قبوله لفكرة التعايش. وأيضا في استحسان علمائه قبول رأي المخالف ابتداء في بعض مواطن الخلاف ، وهو ما يعرف بباب الورع والخروج من الخلاف ، على غرار قراءة البسملة سرا ، وقراءة الفاتحة خلف الإمام ، للخروج من خلاف الشافعي رحمه الله . وتتجلى مظاهر التسامح أيضا في المذهب وصاحبه في قبول رواية المبتدع إذا لم يكن داعيا لبدعته ولم يستحل الكذب ، وأيضا في إباحته الخروج عن المذهب للضرورة ، وفي بعض القضايا حينما تدعو الحاجة لذلك ، فقد روي أن الإمام مالك دخل ذات مرة المسجد بعد العصر ، وجلس ، فقال له أحد الصبية قم يا شيخ وصل ركعتين ، فقام الإمام وصلىّ وحينما قيل له في ذلك ، قال: خشيت أن يصدق عليّ قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾⁶¹ .

ت. ومن مظاهر حوار المذهب ورحابة صدره ما يتجلى من خلال تصحيحه حكم المخالف للمذهب المالكي ، ومنع نقضه وإن خالف المشهور أو الراجح في المذهب المالكي ، وهي القاعدة المعروفة في المذهب بحكم الحاكم يرفع الخلاف المشار

إليها بقول خليل : " ورفع الخلاف لا أحل حراما " إضافة إلى ما قرره الفقه المالكي من أن المختلف فيه لا يجب فيه الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ، وهذه قاعدة مهمة تساهم في توطيد دعائم التعايش بين مختلف المذاهب والطوائف .⁶² وقال المالكية في هذا الصدد أنه " لا يراعى إلا الخلاف المشهور ، وقال بعضهم : يراعى كل ما سطر أي كتب من الأقوال ولو ضعيفا ، وأشار إلى هذين القولين ميارة في التكميل بقوله :

وهل يراعى كلُّ خلف قد وجد أو المراعى هو مشهور عُهِدَ
ومن فوائد ذكر الضعيف أيضا كونه قد تلجئ الضرورة إلى العمل به فيجوز العمل به
حينئذ بشروط : الأول : أن يكون غير شديد الضعف ، الشرط الثاني : أن يثبت
عزوه إلى قائله ، الشرط الثالث : أن يتحقق تلك الضرورة من نفسه " .⁶³ وفي كل ما
سبق يقول في مراقي السعود :

ولمراعاة الخلافِ المشتَهَرِ إن كان لم يشتد فيه الخورُ
وثبَّت العزوُ وقد تحقَّقا ضَرًّا مِنَ الضَّرِّ به تعلَّقا

العوامل الكامنة في المذهب نفسه من حيث بساطته ومرونته ووسطيته:

لقد تنوعت وكثرت أصول المذهب المالكي كما انفرد ببعض الأصول عن بقية المذاهب الأخرى التي لم تأخذ بها كالأستحسان بالنسبة لغير الحنفية مثلا ، ذلك لأن الأصول كلما تنوعت وتعددت مع التوسع في استعمال كل نوع منها ، كلما حصل بذلك أكبر قدر من المرونة ، وتحقيق مقصد رفع الحرج عن جمهور المسلمين ، وهذا يتوافق مع روح القرآن الكريم الذي تنطق به الآية الكريمة ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبُكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾⁶⁴ كما أن المذهب المالكي يقع موقعا وسطا بين من وقف عند ظاهر النص ولم يترك للمجتهد لينظر في الأصول المعتمدة على النظر والاجتهاد كالقياس ، وبين من أغرق في القياس والنظر ، وبالتالي وجد نفسه مبتعدا عن السنة ومقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ، وهذا ما أشار إليه الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات .⁶⁵ وتبرز مرونة المذهب فيما يلي :

أ. ابتعاد الإمام مالك عن المجادلات الكلامية والخلافات العقائدية التي كانت سببا في ازدياد الهوة والفرقة بين المسلمين. " ولذلك عندما سئل عن بعض المسائل التي خاضت فيها الفرق المختلفة لم يجب إلا بقليل من القول ، حتى لا ينساق إلى الجدل كما يجادلون ، وإلى الخوض فيما يخوضون ، وكانت إجابته القصيرة على طريقته في الاعتماد على المأثور... قال سفيان بن عيينة : سأل رجل مالكا ، فقال : " الرحمن على العرش استوي " كيف استوي ، فسكت مالك مليا ، حتى علاه الرخصاء⁶⁶ ، وما رأينا مالكا وجد من شيء وجده من مقالته ، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به ، ثم سرى عنه فقال : " الاستواء منه معلوم ، والكيف منه غير معقول ن والسؤال عن هذا بدعة ، والإيمان به واجب ، وإني لأظنك ضالا .. فناده الرجل ، يا أبا عبد الله ، والله الذي لا إله إلا هو ، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة ، والكوفة والعراق ، فلم أجد أحدا وفق لما وفقت له " ⁶⁷.

ب. الميزة التي تميّز بها المذهب المالكي ، والمعروفة بفقه العمليات ويطلق عليه أيضا العمل الفاسي ، أو المطلق ، بما يتناسب ومختلف الظروف التي مرت بها المجتمعات المغاربية عبر أدوارها وأطوارها التاريخية ، الأمر الذي ساعدها على الاحتفاظ بهويتها وطابعها المالكي ، دون الذوبان في المذاهب الأخرى ، أو الاستيراد منها دون ضرورة ملحة . وتتجلى هذه المرونة والاحتفاء بمقاصد الشريعة الإسلامية في رعاية مصالح البشر ، ورفع الإصر والأغلال التي كانت على الأمم من قبلهم استلهاها من روح الشريعة الإسلامية ، وما ازدهار التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي إلا دليلا قاطعا على هذه المرونة والوسطية ومن هذه المصنفات الكبيرة والبالغة الأهمية والتي يمكن للدارسين الاستفادة منها في عدة مجالات " المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق لأبي العباس الونشريسي ، الذي انتفع به الفقهاء ونقلوا عنه كابن عريون في وثائقه ، وميارة في شرحه على التحفة والحواري في شرحه لوثائق بناني ... وفي العصر الحديث هناك " مجموع الإفادة في علم الشهادة " لأبي عبد الله التواتي التونسي ، و " الدر المنظوم في كيفية كتب الرسوم " للنيفر التونسي ، وتظهر فوائد التوثيق في المعاملات والتصرفات المالية والأحوال الشخصية وباب

الأنساب وغيرها ؛ لأنه وسيلة لقطع مادة الظلم والارتياح بين أفراد المجتمع ومسلوك لإشاعة الأمن فيه ، وبهذا تكون سبيل إصلاح ذات البين التي حرص الإسلام على بنائها وتدعيمها ممهدة وسالكة " ⁶⁸ . ومن المصنفات الهامة التي رصدت أهم النوازل الجديدة في بلاد المغرب تلك الموسوعة الموسومة بـ " النوازل الجديدة الكبرى " ⁶⁹ والتي استفادت من النوازل القديمة وهي موسوعة فقهية ضخمة ، ذات قيمة علمية كبيرة وذلك " بما تكشفه وتبرزه من مناح وجوانب اجتماعية في حياة الناس ، وبما استوعبته من نوازل وفتاوى " ، وذلك في عصر المؤلف حسب تعبير وزير الأوقاف المغربي السابق عبد الكبير العلوي المدغري .

احتفاء المذهب المالكي بالأبعاد المقاصدية للشريعة الإسلامية ذلك لأن الاهتمام بمقاصد الشريعة الإسلامية يحقق للمجتمع المسلم ومختلف الطوائف التي تعيش فيه كل وسائل المن والطمأنينة ، وكل وسائل الرقي والازدهار ، وكل عوامل المشاركة الفعالة في بناء الحضارة الإسلامية المتوازنة ، دون إفراط ولا تفريط ، ودون غلو أو تنطع ، كما أن الاهتمام بالمقاصد الكبرى يساهم في تزكية كل ما من شأنه تعزيز حقوق الإنسان الأساسية من حماية لدمه وماله وعرضه ... ويتجلى هذا في نظراته الفقهية الصارمة في باب القصاص ، وتضييقه لكل الشبه التي من شأنها فتح المجال للتلاعب بدماء الناس أو التملص من الأحكام الرادعة الزاجرة ، التي تجعل الناس ينعمون بالأمن والطمأنينة . والدليل على ذلك حسب بعض الباحثين " قلة نوازل الدماء في كتب النوازل الفقهية المالكية مما يفسر بقلة حوادث القتل ، ويسجل شهادة واقعية باستتباب الأمن في تلك الأزمنة التي ساد فيها الفقه المالكي " ⁷⁰ . مع ملاحظة كل الضمانات الخاصة بتطبيق الحدود ⁷¹ . هذا الذي سبق ذكره كله من آثار حول سماحة المذهب المالكي ، إنما هو لبيان سماحة ورحمة الإسلام بالملكفين في مختلف المجالات التشريعية ، وأنه جاء ليحقق مصالح العباد دنيويا وأخرويا ، وهذا سر نجاحه وفتحته للعقول والقلوب ، قال ابن القيم الجوزية كلاما طيبا دقيقا تحت فصل " الشريعة مبنية على مصالح العباد " قائلا : " هَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ النَّفْعُ جِدًّا وَقَعَ بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِهِ غَلَطٌ عَظِيمٌ عَلَى الشَّرِيعَةِ أَوْجَبَ مِنَ الْحَرْجِ وَالْمَشَقَّةِ وَتَكْلِيفِ مَا لَا سَبِيلَ

إِلَيْهِ مَا يُعْلَمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْبَاهِرَةَ الَّتِي فِي أَعْلَى رُتَبِ الْمَصَالِحِ لَا تَأْتِي بِهِ؛ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحُكْمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا، وَحُكْمَةٌ كُلُّهَا؛ فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَى الْمَفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْبُعْثِ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ؛ فَالشَّرِيعَةُ عَدْلٌ لِلَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَظِلُّهُ فِي أَرْضِهِ، وَحُكْمَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَّ دَلَالَةً وَأَصْدَقُهَا، وَهِيَ نُورُهُ الَّذِي بِهِ أَبْصَرَ الْمُبْصِرُونَ، وَهُدَاهُ الَّذِي بِهِ اهْتَدَى الْمُهْتَدُونَ، وَشِفَاؤُهُ النَّامُ الَّذِي بِهِ دَوَاءُ كُلِّ غَلِيلٍ، وَطَرِيقُهُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنْ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ فَقَدْ اسْتَقَامَ" ⁷² ، . ويؤكد الباحث محمد طاهر حكيم على البعد التعليلي للتشريع الإسلامي بما يحقق المقاصد الشرعية ، ويضمن السعادة الدنيوية والأخروية لمعتنقيه، مشقعا كلامه على ما جاء في كلام ابن القيم بقوله " إِنْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - فِي جُمْلَتِهَا - مَعْلَلَةٌ عِنْدَ الْجُمَاهِيرِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَإِنْ لَهَا مَقَاصِدٌ فِي كُلِّ مَا شَرَعَتْهُ وَإِنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدُ وَالْحُكْمُ مَعْقُولَةٌ وَمَفْهُومَةٌ فِي الْجُمْلَةِ، بَلْ مَعْقُولَةٌ وَمَفْهُومَةٌ تَفْصِيلاً إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ التَّعْبُدِيَةِ الْمَحْضَةِ الَّتِي يَصْعَبُ تَعْلِيلُهَا تَعْلِيلاً مَفْصِلاً ظَاهِراً مَعْقُولاً" ⁷³

ولا يمكن اليوم الوصول لحلول ناجعة لمشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة إلا بتفعيل آلية الاجتهاد الشرعي من قبل العلماء المتمكنين في شتى العلوم والمعارف خدمة للإسلام والمسلمين ولعل هذه الكلمات التي جاءت في خطاب فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة في افتتاح أشغال الملتقى الدولي حول التفاهم بين المذاهب الإسلامية ما يبرز أهمية تفعيل دور الاجتهاد " فالحرص لاستمرار سيادة وسؤدد الأمة الإسلامية ، وتحديد حياتها ، إنما هو الاجتهاد الشرعي ، ودرء التعصب والتقليد الأعمى، الذي أوصل بعض فئات المجتمع الإسلامي ، إلى الدرك الأسفل من التعصب والهمجية، بل والإرهاب الهدام الذي ألصق غيلة وبهتاننا بديننا الحنيف ، وبأمتنا حتى أصبح المسلم في هذا العصر ، مرادفا للجريمة والتدمير ، في نظر العديد من شعوب الأمم الأخرى " ⁷⁴

الخاتمة :

مما سبق ومن خلال المسيرة الطويلة التي قطعها المذهب المالكي ، ومن خلال كل العوامل التي أتينا على قراءتها يمكن استخلاص جملة من النتائج الجوهرية والتي يمكن حصرها في النقاط التالية :

1. مدى ثراء المذهب المالكي، إذ ينطوي في ثناياه على كنوز بالغة الأهمية تغطي مختلف القضايا التي تهم المجتمعات المعاصرة ، وتضمن الإجابات الشافية والكافية، وتقدم الحلول الناجعة لما يجدد من مشكلات ناجمة عن التطور الحضاري للعالم المعاصر .

2. الدور الكبير الذي ساهم به الحكام الذين تعاقبوا على حكم المغرب والأندلس، في التمكين للمذهب بتأسيس المعاهد والجوامع العلمية وتولية خطة القضاء والفتوى للمتضلعين في أصول المذهب المالكي، مما كان له أكبر الأثر في إذكاء روح التنافس بين العلماء ، في شرح قواعد المذهب ، والتأليف في فروعه العلمية.

3. الجهود الكبيرة التي بذلها أساطين المذهب المالكي، في التعريف به، وتبيان مزاياه، وتحقيقه لمصالح الأنام التي جاء بها روح القرآن والسنة المطهرة الصحيحة، ومن بين هؤلاء الأعلام الكبار علي بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وسحنون بن سعيد، ويحيى بن عمر ...

4. إن تفضيل المذهب المالكي عند من تمسك به ، والعض عليه بالنواجذ يعود لاعتبارات عقدية ، تخص صاحب المذهب الذي كان منتهجا نهج السلف الصالح في التمسك بأصول الدين . وتوقيره للسلف والتحذير من التعرض لهم بسوء ، والتفضيل هذا يعود أيضا لاعتبارات موضوعية ترى أن المذهب المالكي مذهب أهل السنة والجماعة وفقهاء المدينة ، ومن اعتبارات التفضيل ثراء أصول المذهب وكثرتها مما أكسبه مرونة وحيوية تستجيب لحاجيات الناس والدول .

5. المذهب المالكي من خلال أصوله الثابتة ، واجتهادات علمائه عبر القرون، برزت فيه سمة الوسطية ، ورفع الحرج عن عموم المسلمين ، استلهاما من روح القرآن والسنة المطهرة الداعيان للتيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير .

وهكذا فإن المذهب المالكي بثروته الفقهية التي وصلت إلينا ، إلى جانب المذاهب الفقهية المعتبرة، والتي يتبعها ملايين المسلمين ، تشكل في مجموعها منبعا ثرا لإيجاد الحلول لمختلف المشاكل والقضايا الشائكة التي يعاني منها عالم اليوم ، والأساس الذي يكون منه الانطلاق هو التعاون بين كل المذاهب الإسلامية بروح تعاونية تضامنية اجتهادية عمادها الإخلاص لله عز وجل في القول والعمل ، والمهم في كل ذلك هو العزيمة والإرادة القوية للمفكرين وعلماء الشريعة الإسلامية لاستلهم هذه القيم الوضّاءة ، والسير على ضوء روح الدين الإسلامي الذي تلخصه الآيتين الكريمتين الأخيرتين من سورة الحج المدنية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾.

هوامش المقال

¹ Le malikisme l'une des quatre écoles classiques de droit de l'islam sunnite . elle est majoritaire en Afrique du nord et d'une partie de l' Afrique de l'Ouest . suivie par près d'un quart des musulmans , c'est la deuxième école en nombre de Achour [pratiquant après le hanéfisme Encyclopédie des pays musulmans.ouvrage réalisé :Cheurfi

dans le cadre de tlemcen capitale de la culture islamique

2011 . Editions Dalimen. V1. P:596

² V: Haidar Bammate: visages de l'islam. Entreprise National du livre . 3^e édition revue et augmentée . Alger 1991 . p 138

³ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشَّعْرَانِي، أبو محمد (ت 973هـ) : الطبقات الكبرى = لوفاح الأنوار في طبقات الأخيار.. مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر . 1315 هـ . ج 1، ص: 45 .

⁴ صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفْدي : كتاب الوافي بالوفيات . تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى . دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ط 1 ، 1420 هـ ، 2000 م . ج 25 ، ص: 21 .

⁵ د/ عبد الحميد محمود مطلوب: المدخل إلى الفقه الإسلامي. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى 1424هـ/ 2003م. ص: 127 .

⁶ تنظر ترجمته عند الخطاب : مواهب الجليل شرح مختصر سيدي خليل . طبعة دار الفكر (مقدمة الكتاب) . النفراوي المالكي الأزهرى (ت 1120هـ) : الفواكه الدواني . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ط 3 ، 1374 هـ ، 1955 م . 1م ، ص: 27 . وهناك كتب مصنفة في شخصية مالك ومذهبه ذكر منها الزركلي : " تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك " لجلال الدين السيوطي ، وحياة مالك لمحمد أبي زهرة . دار الفكر العربي (د.ت)، وترجمة محررة لمالك بن أنس لأمين الخولي . ينظر : الزركلي : الأعلام . دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 15 ، أيار / مايو 2002 م ، ج 5 ، ص: 257 ، 258 . وينظر أيضا : مبارك بن علي بن حمد التميمي نسبا الأحسائي بلدا ، المالكي مذهبها (ت نحو 1230م) : تسهيل المسالك إلى هداية السالك إلى مذهب الإمام مالك . تحقيق حفيد المؤلف : عبد الحميد بن مبارك آل الشيخ مبارك . دار ابن حزم . بيروت، لبنان . ط 1 ، 1422 هـ ، 2001 م .

⁷ أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ): بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك). دار المعارف ، (دون طبعة ودون تاريخ) ج 1، ص: 17.

- ⁸ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : كتاب الوافي بالوفيات .المصدر السابق . ج 25 ، ص: 23 .
- ⁹ ينظر : الموسوعة العربية الميسرة . دار نخضة لبنان للطبع والنشر . بيروت ، 1401 هـ ، 1981 م . ج 2 ، ص: 1630 .
- ¹⁰ أحمد محمود الشافعي وزميله : المدخل لدراسة الفقه الإسلامي ونظرياته العامة (النشأة ، التطور، المعاصرة) . منشورات الحلبي الحقوقية . ط 2003 م . ص: 146 .
- ¹¹ كامل محمد محمد عويضة : مالك بن أنس إمام دار الهجرة . دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ ، 1992 م . ص: 26 .
- ¹² يوسف إلياس سركيس الدمشقي : معجم المطبوعات العربية والمعربة . دار صادر ، بيروت ، ومطبعة سركيس بمصر ، 1346 هـ ، 1928 م . ج 2 ، ص: 1609 . ويراجع: عمر سليمان الأشقر: المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي . دار النفائس . عمان الأردن ، ط 1 1425 هـ ، 2005 م . ص : 230 .
- ¹³ محمد المدني بوساق : المسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة (توثيقا ودراسة). دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث . (سلسلة الدراسات الأصولية) . حكومة دبي . دولة الإمارات العربية المتحدة . ط 1 ، 1421 هـ ، 2000 م . ج 1 ، ص: 62 ، 63 .
- ¹⁴ الموسوعة العربية العالمية : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، 1419 هـ / 1999 م . ج 22 ، ص: 120 .
- ¹⁵ فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي . دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، ص: 238
- ¹⁶ محمد التمساني، أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين بتطوان . مقاصد المغاربة في اختيار المذهب المالكي موقع رواق المذهب المالكي <http://www.malikiya.ma> .
- ¹⁷ محمد التمساني، أستاذ التعليم العالي بكلية أصول الدين بتطوان . مقاصد المغاربة في اختيار المذهب المالكي المرجع السابق .
- ¹⁸ ينظر : المحاضرة التي ألقاها : محمد التاويل ، أستاذ بجامعة القرويين بفاس ، في إطار الدروس الحسنية ، تحت عنوان " خصائص المذهب المالكي " 07 رمضان المعظم 1425 هـ الموافق لـ

21 أكتوبر 2004م . www.ahlalhdeeth.com تاريخ الزيارة 2016/01/04 الساعة 00:25 .

¹⁹ ابن عبد البر النمري الأندلسي (ت463هـ): التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .

تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي وزميله . ج 1 ص: 62

²⁰ ابن عبد البر النمري الأندلسي (ت463هـ) : التمهيد. ج 1 ، ص: 76 .

²¹ شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي (853.782) : انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك . تحقيق : محمد بن الهادي أبو الأحنفان . دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان . ط 1 ، 1421هـ ، 2010م . ص: 201 .

²² تراجع هذه الشهادات في ابن عبد البر النمري الأندلسي (ت463هـ) : التمهيد.. ج 1، ص: 61 وما بعدها في باب ذكر عيون من أخبار مالك رحمه الله وذكر فضل موطاه .

²³ النفراوي المالكي الأزهرى (ت1120هـ) : الفواكه الدواني . المرجع السابق . ج 1 ، ص: 27 .

²⁴ محمد عlish : منح الجليل على مختصر العلامة خليل . دار صادر . بيروت ن لبنان . (د.ت) . ج 1 ، ص: 8 ، 9 .

²⁵ النفراوي المالكي الأزهرى (ت1120هـ) : الفواكه الدواني . المرجع السابق . ج 1 ص: 27 .

²⁶ جلال الدين السيوطي (ت911هـ) : موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الأخيرة 1370هـ . 1951م ، م 1 ، ص : أ وما بعدها .

²⁷ الأعراف : 29

²⁸ الحجرات : 2

²⁹ ينظر : محمد بن حسن شرجبيلي : تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المملكة المغربية . ط: 1421هـ ، 2000م . ص: 146 ، 147 .

³⁰ أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ) : الموافقات في أصول الشريعة . بعناية وضبط : الشيخ إبراهيم رمضان . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1415هـ ، 1994م . ج 4 ، ص: 633 .

- ³¹ تنظر هذه الميزات عند : جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت 597هـ) . صفة الصفوة . تحقيق : محمود فاحوري . دار الوعي بحلب م 2 . ص : 177 وما بعدها .
- ³² البقرة : 282 .
- ³³ الأنفال : 29 .
- ³⁴ أحمد الصاوي : حاشية الصاوي على الجلالين . المكتبة التجارية الكبرى ومطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ط : 1371هـ ، 1952م . ج 2 ، ص : 123 .
- ³⁵ إبراهيم القادري بودشيش ، (أستاذ التعليم العالي بجامعة مكناس) صحوة المذهب المالكي خلال القرن الخامس الهجري/محاولة تفسير موقع رواق المذهب المالكي <http://www.malikiya.ma>
- ³⁶ أبو يعلى الخليلي ، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ت 446هـ) : الإرشاد في معرفة علماء الحديث . تحقيق : د. محمد سعيد عمر إدريس . مكتبة الرشد - الرياض . الطبعة : الأولى ، 1409 . ج 1 ، ص : 231 .
- ³⁷ أحمد أمين : ظهر الإسلام . دار الكتاب العربي . بيروت ، لبنان ، ط 5 ، 1388هـ . 1969م ، ج 1 ، ص : 298
- ³⁸ تنظر جهود هؤلاء الأعلام وخدمتهم للمذهب المالكي في : المرجع نفسه . ص : 298 وما بعدها .
- ³⁹ ينظر : أحمد محمد نور سيف : عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين . دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث دبي الإمارات العربية المتحدة . الطبعة الثانية ، 1421 هـ ، 2000م . ص : 41 وما بعدها .
- ⁴⁰ أحمد أمين : ضحى الإسلام . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 10 (د.ت) ، ج 2 ، ص : 208 ، 209 .
- ⁴¹ المرجع نفسه . ج 2 . ص : 208 .
- ⁴² الجهنجي مانع بن حماد : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض . ط 5 ، 1424هـ ، 2003م . م 1 . ص : 118 .
- ⁴³ محمد بن حسن شريحيلي : تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي . المرجع السابق . ص : 26 ، 27 .

- ⁴⁴ ينظر : ابراهيم القادري بودشيش : صحوة المذهب المالكي خلال القرن الخامس الهجري/محاولة تفسير موقع رواق المذهب المالكي <http://www.malikiya.ma>
- ⁴⁵ خالد عبد الرحمن العك : موسوعة الفقه المالكي . دار الحكمة ، دمشق ، سورية ، الطبعة الأولى 1413هـ / 1993م . م 1 ، ص: 27 .
- ⁴⁶ سيد سابق (المتوفى: 1420هـ) فقه السنة الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1397 هـ - 1977 م. م 1. ص: 13.
- ⁴⁷ سيد سابق (المتوفى: 1420هـ) فقه السنة . دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1397 هـ - 1977 م. م 1. ص: 13، 14
- ⁴⁸ محمد بن حسن شريحيلي : تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي. المرجع السابق . ص: 29 ، 30 .
- ⁴⁹ أحمد تيمور باشا : نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ، الحنفية المالكية الشافعية الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين . تقديم : الشيخ محمد أبو زهرة . دار القادري . بيروت ، ط 1، 1411 هـ ، 1990م ، ص: 61 حتى ص: 64.
- ⁵⁰ آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام . نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريدة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ط 3 ، 1377هـ ، 1957م . م 1 ، ص: 375 .
- ⁵¹ نجاة بضراني : المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية . مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط 1، 1416هـ ، 1995م . ص: 285
- ⁵² محمد أبوزهرة : مالك حياته وعصره ، ص 299 .
- ⁵³ عبد الغني الدقر : الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة (93هـ . 179هـ) . دار القلم ، دمشق . ط 3 ، 1419هـ ، 1998م ، ص: 10 .
- ⁵⁴ محمد هشام الأيوبي : الاجتهاد ومقتضيات العصر . دار الفكر ، عمان الأردن ، (د.ت) ص: 108 .
- ⁵⁵ سائر بصمدجي : الموسوعة الذهبية في الحضارة الإسلامية . مراجعة : يوسف علي بديوي . اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، الطبعة الأولى ، 1431هـ / 2010م . ص: 999 ، 1000 .

- ⁵⁶ موسوعة الأديان الميسرة. دار النفائس، بيروت، ط4، 1428هـ، 2007م. ص: 242، 243.
- ⁵⁷ بدران أبو العينين بدران : تاريخ الفقه الإسلامي ونظرية الملكية والعقود . دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان ، (د.ت) . ص: 133 .
- ⁵⁸ مانع بن حماد الجهني : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . المرجع السابق. م 1 ، ص: 119 .
- ⁵⁹ ينظر : محمد بن حسن شريحيلي : تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي . المرجع السابق . ص: 136 وما بعدها .
- ⁶⁰ يوسف : 72
- ⁶¹ المرسلات : 48 .
- ⁶² محمد التاويل : " خصائص المذهب المالكي " المرجع السابق .
- ⁶³ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي : نثر الورود على مراقبي السعود . تحقيق : محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي . دار المنارة للنشر والتوزيع بجدة ، و دار ابن حزم ، بيروت ، ط3 ، 1423هـ ، 2002م . ج 2 ، ص: 584 ، 585 .
- ⁶⁴ الحج : 78 .
- ⁶⁵ ينظر : محمد بن حسن شريحيلي : تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي . المرجع السابق . ص: 143 وما بعدها .
- ⁶⁶ الرخصاء بضم الراء وفتح الحاء : العرق الشديد
- ⁶⁷ محمد أبو زهرة : مالك حياته وعصره آراؤه الفقهية . ص: 193 .
- ⁶⁸ عبد اللطيف أحمد الشيخ : التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي (من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع عشر الهجري) . المجمع الثقافي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. ط : 1425هـ ، 2004م . ص: 5 ، وينظر أيضا : صفحات 428 ، ونماذج من عصر إدراج القوانين في التوثيق ص: 463 وما بعدها . والكتاب يعد كما جاء في تقديمه سجل حافل في الإجراءات الأصولية الفقهية للمذهب المالكي التي تعمل على بث الثقة بين المتعاملين .
- ⁶⁹ أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني (ت 1342هـ) : النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى والمسماة بـ المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء

- المغرب . قابله وصححه على النسخة الأصلية : عمر بن عباد . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المملكة المغربية . 1417هـ ، 1996م . ج 1 ، ص: 4 .
- ⁷⁰ محمد التاويل ، أستاذ بجامع القرويين بفاس ، في إطار الدروس الحسنية ، تحت عنوان " خصائص المذهب المالكي " المرجع السابق
- ⁷¹ ينظر : موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر . (تحت إشراف : عبد الحليم عويس) . دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، ط 1 ، 1426هـ ، 2005م . ج 3 . ص: 376 وما بعدها .
- ⁷² محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين: . تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم . دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م . ج 3، ص: 11.
- ⁷³ محمد طاهر حكيم : رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم). الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد 116، السنة 34، 1422هـ . 2002م. ص: 207، 208 .
- ⁷⁴ أعمال الملتقى الدولي : التفاهم بين المذاهب الإسلامية (11 و 12 و 13 محرم 1423هـ / 25 و 26 و 27 مارس 2002م الجزائر). منشورات المجلس الإسلامي الأعلى . منشورات تالة، الأبيار، الجزائر العاصمة . ص: 08 .